اصبحوا مرابعين على الارض لصالح المستوطنين الصهاينة . من هنا نفهم انخفاض نسبة الفلاحين المستقلين من ١٩٤٨ الى ١٩٧٦ ؛ من ٧٥٪ الى حوالي ١٥٪ ،وارتفاع نسبة العمال المأجورين الذين كانوا فلاحين سابقا ، وكذلك ارتفاع نسبة الفلاحين الموسميين . هذا الانتقال لم يحصل بدون نضال ، ولكن هذا النضال مر باشكال ودرجات مختلفة . في البداية ، الفكرة التي كانت قاءمة عن المستوطنين ، ظل بقايا منها بين الناس الذين ظلوا في ١٩٤٨ ، فلم يأخذوهم بجدية كافية . ولذلك ففي بداية عام ١٩٤٩ كان هناك نوع من التحدي ، وانا اذكر تماما فلاحي بلدنا الذين خرجوا ليفلحوا الارض بالقوة وقد قوبل هذا التحدي بالقمع حيث اعتقل هؤلاء الناس . ثم في بداية الخمسينات كانت اسرائيل في ذهن الناس ظاهرة عابرة سوف تزول لا محالة . فلجأ الناس الى محاولات في اطار « الشرعية » وقوبلت هذه المحاولات بالاحكام العسكرية واغلاق المناطق وما الى ذلك . في اواخر الخمسينات بدأت ملاحظة ان الاحتلال ليس عابرا بهذه الصورة ولذلك يمكن التعامل معه من خلال قوانينه . ففي اواخر الخمسينات واوائل الستينات كان هناك حملة واسعة من المحاكمات من اجل الاراضي . ذهبوا الى المحاكم الاسرائيلية من اجل التقاضي مع الحكم الاسرائيلي على الارض . وقوبلت هذه باصدار قوانين خاصة تجيز الاستيلاء على الاراضي ، مثل قوانين التطوير وما الى ذلك . في الستينات كانت صورة اسرائيل في انتفاخ هائل بالنسبة لحجمها الحقيقي ولحجمها في موازين القوى في المنطقة وخاصة بعد عام ١٩٦٧ . وبالرغم من كل ذلك فقد تعود الناس على الحكم الاسرائيلي ، حيث عرفوه في نقاط قوته ونقاط ضعفه فكان هناك لجوء الى عمليات يمكن تسميتها بنصف شرعية مثل المظاهرات ، كما حصل عند بناء مدينة الرميل (؟) على ارض مشتركة لقرى الجليل الاسفل على طريق عكا صفد ، وعلى طريق الرامة الناصرة . المجموعة التي قامت بالثورة في هذه المرة هي نفسها ، الى ان انتهت بالفعل بالمرحلة الاخيرة منها في يوم الارض ، التصدي العنيف . وفي هذا التصدي العنيف يمكن ان نرى اللقاء بين عرب الجليل وبين الثورة الفلسطينية ،التصدي للمستوطنين بشكل عنيف . ما هو السياق التاريخي لهذا التصدي العنيف ؟ بالامكان بالفعل ربط اشكال التصدي لمحاولات الاستيلاء على الاراضي بالصورة التي برزت فيها اسرائيل في موازين القوى في المنطقة . كلما برزت اسرائيل قوية اكثر كلما كان هناك قبول للتعامل معها من خلال شرعيتها في نظامها . فالمراحل كانت ، ١ — مرحلة المفاجأة بعد الاحتلال ، اسرائيل قامت فالناس فوجئوا ، ٢ — مرحلة جس النبض في بداية الخمسينات لمعرفة ما هي قوة هذا الكيان ، ٣ — مرحلة التحدي عندما فرض الحكم العسكري بكل قوته ، ٤ — مرحلة التراجع الى الاطار القانوني بعد بداية ترسخ فكرة ان الدولة قائمة ، ٥ — مرحلة قمة التراجع بالفعل في اوائل الستينات وفي حرب حزيران مع النصر الاسرائيلي على القوى العربية الطليعية . بعد هذه كان اللجوء الى المظاهرات في ايام كفر برعم بتعاون مع اطراف اسرائيلية ، كأنك دخلت في عملية اسرائيلية داخلية ، وليست عملية تناقض بين كتلتين بشريتين ، ليست بينهما اية علاقة . لكن التصدي العنيف لم يحصل الا بعد ٦ تشرين ولا يمكن بالفعل تصور المظاهرات بالضفة الغربية ولا في الجليل بدون حرب تشرين .

ذكرت في السابق انه قبل حرب تشرين كان هناك صورة مقلوبة لموازين القوى في المنطقة : هناك انتفاخ هائل لحجم اسرائيل ومقابله تقلص هائل لحجم الشعب الفلسطيني ، الذي هو نقيض اسرائيل . من هنا اتت النظرة الى الثورة الفلسطينية كشيء رومنطيقي لا تستطيع ان تفعل شيئا لاسرائيل التي طمنت كل هذه القوى . هذه الصورة انقلبت بعد حرب تشرين . فكل ما حصل من تحجيم لاسرائيل بعد حرب تشرين انصب في كفة الشعب الفلسطيني ، والثورة